﴿يَسۡتَعۡجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِهَاۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مُشۡفِقُونَ مِنۡهَا وَيَعۡلَمُونَ أَنَّهَا ٱلۡحَقُّۗ أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِي ٱلسَّاعَةِ لَفِي ضَلَٰلِۭ بَعِيدٍ ١٨﴾ [الشورى: 18]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قبلَها:

تَبايُنُ النّاسِ في مَوْقِفِهِم مِنَ السّاعَةِ

لَمّا ذكر اللّه تعالى ما يُشْعر بقُرب السّاعة، وأشار بـ (لَعَلَّ) في قوله: ﴿لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾ إلى أنَّ المُستعجل بها حالُهُ حالُ الرّاجي لأمرٍ محبوب، وهذا جهلٌ عظيم منه؛ شَرع سُبحانه في بيان أحوال النّاس في شأنِها، مشيرًا إلى أنَّ العاقلَ يَنْبَغي له أن يستعدَّ لها للخلاصِ في وقْتِها، وذلك لظُهور أدلَّتها من غير بحثٍ عن قُربها أو بُعْدِها، فإنَّه لا بُدَّ من كَوْنِها ووُقوعها، فقال ﷻ: ﴿يَسۡتَعۡجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِهَاۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مُشۡفِقُونَ مِنۡهَا وَيَعۡلَمُونَ أَنَّهَا ٱلۡحَقُّۗ﴾[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿يَسۡتَعۡجِلُ﴾: (عجل) تدلُّ اشْتِقاقاتُه عَلى سَبْقِ تَحْصيلِ شَيءٍ قَبلَ أوانِه، ومِنْهُ سَمَّتِ العربُ ولَدَ البقرةِ عجلًا؛ لِولادَتِه قَبْلَ بُلوغِ الوَقْتِ الَّذي أَلِفَتِ العربُ أنْ تَلِدَ النّوقُ بَعْدَهُ، فإنَّها تلدُ لاثنَي عَشَرَ إلى خَمْسَةَ عَشَر شهرًا، بخلافِ البَقَرِ فإنَّها تَلِدُ لِتِسْعَةِ أشْهُرٍ[2].

والعَجَلَةُ: طَلَبُ الشَّيءِ وتَحَرّيهِ قَبْلَ وقْتِهِ[3]، ومِنهُ قولُ اللّهِ سُبحانَهُ: ﴿يَسۡتَعۡجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِهَاۖ﴾.

2) ﴿مُشۡفِقُونَ﴾: (شفق) تدورُ تصريفاتُه على رِقَّة في الشَّيء،

(1) البقاعي، نظم الدرر: 17/ 277.
(2) محمد جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (عجل).
(3) الرّاغب، المفردات الكريم: (عجل).

تقولُ: أشفقتُ منَ الأمر؛ إذا رقَقْتَ، وحاذرتَ[1]، وأشفقَ منه؛ حاذَرَ[2]، وقول الله تعالى: ﴿مُشْفِقُونَ مِنْهَا﴾، أي: خائفون[3].

3) ﴿يُمَارُونَ﴾: (مري) تدلُّ اشتقاقاتُه على مائعٍ أو شيءٍ رقيق غزيرٍ يُستخرج بحيلةٍ[4]، والمِراء: مصدرُ مارَيْتُهُ مراءً ومُماراةً، أي: جادَلْتُهُ[5]، والمِرْيَةُ الشَّكُّ، وسُمّيتِ المُجادَلَة مِراءً؛ لأنَّها بسببِ الشَّكِّ وعدم اليقينِ في ما يقولُ الآخَرُ، وكلٌّ مِن المُتمارِيَيْنِ يُعالج صاحبَه؛ ليَستَخْرِجَ ما عندهُ، ثُمَّ لا يكتفي، ولا يقتَنِعُ[6].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

المَواقِفُ المُتباينَةُ مِنَ السّاعَةِ بَيْنَ الجُحودِ واليَقينِ

ذَكَر الله تعالى حالَ فَريقينِ مُتباينَيْنِ في شأنِ السّاعة، فذَكَر أنَّ الذين كَفَروا بالسّاعة يَستَعْجِلون بها استهزاءً وتَهَكُّمًا، ظانّين أنَّها لن تَقوم، وأمّا المُؤْمِنون؛ فَيَخافونَها، ويُشْفِقون مِن حُلولِها، عالمين أنَّها الحقُّ الذي لا مِرْيَة فيه، ثُمَّ أبان سُبْحانَه أنَّ الذين يُمارون في أمْرِ السّاعة، ويَقِفون موقِفَ الشَّكِّ والجُحود قد ضَلّوا عَن سواءِ السَّبيل، وباعَدوا بَيْنَهُم وبينَ الحقِّ المُبينِ[7].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

سِرُّ فَصْلِ هَذِهِ الآيَةِ عَمّا قَبْلَها:

بَيانُ حالِ المُشْرِكينَ والمُؤْمِنينَ تُجاهَ تَنْبيهِهِم إلى قُرْبِ السّاعَةِ

فُصِلَ قولُ الله تَعالى: ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا﴾ عمّا قبلَها؛ لِما بينَ الجُمْلَتَين مِن شِبْه كمال الاتِّصال، وهو المُسمّى: الاستئناف البياني، وذلك لأنَّ قول الله سُبحانه: ﴿لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾ فيه تهديدٌ ضمنيٌّ لهم بحلول العذاب بأهلِ الشِّرك، فقالوا

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (شفق).
(2) الحميري، شمس العلوم: (شفق).
(3) الهروي، الغريبين في القرآن والحديث: (شفق).
(4) محمد جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (مرى).
(5) ابن دريد، جمهرة اللغة: (مرى)، والأزهري، تهذيب اللغة: (مرى).
(6) محمد جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (مرى).
(7) نخبة من أساتذة التفسير، التَّفسير الميسّر، ص: 485.

على وجهِ السُّخرية: فمتى موعدُ السّاعة؟ ولَيْتَها تقومُ حتّى يَظهر الحقُّ، فجاءَ قول الله تعالى: ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَاۖ﴾ مجيبًا عن هذا دافعًا الشُّبهة[1].

ويجوز أن يكون قول الله سُبْحانه: ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَاۖ﴾ فُصِلَ عمّا قبلَه لوُقوعِه بيانًا؛ لأنَّ قولَه ﷻ: ﴿لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾ يتضمَّن تنبيهًا وتهيئةً بالنِّسبة إلى فريقي المُؤْمِنين بالسّاعة وغير المُؤمنين بها، فذَكَر سُبْحانه حالًا كلا الفَريقين تُجاه ذلك التَّنبيه[2].

سِرُّ التَّعْبيرِ بالاستِعْجالِ:

جاء التَّعبير بالاستِعْجالِ في قول الله تَعالى: ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَاۖ﴾؛ لدلالَتِه على الطَّلبِ، فمَعْنى: ﴿يَسْتَعْجِلُ﴾ يطلُب التَّعجيل، أي: يطلُبُ أن تكونَ السّاعة قبلَ الوقتِ المَضْروبِ لَها؛ ليَظْهَرَ صدقُهُ - فيما يزعُم - [3] فكان التَّعبير بالاستعجالِ مُشيرًا إلى الطَّلب المَقْصودِ؛ مُبالغةً في الكَشْفِ عَنِ استِهزائِهم وتَهَكُّمِهم.

استِهزاءُ المُشركينَ بِأمرِ السّاعَةِ مبالغةٌ مِنهُم في نَفْيِها

دلالَةُ التَّعْبيرِ بِالفِعْلِ المُضارِعِ ﴿يَسْتَعْجِلُ﴾:

عبَّر بالفِعلِ المُضارِعِ ﴿يَسْتَعْجِلُ﴾ في قول الله ﷻ: ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَاۖ﴾، ويشير إلى استمرارِ حالِ الطَّلبِ استهزاءً، ويَدُلُّ على دَوامِ تَحَدّيهم وصِدامِهم مع الحَقِّ، كأنَّهم في تَكْرارِ هذا الطَّلبِ يُريدونَ أن يُبْرِزوا سُخريَتَهم، ويُجاهِروا بِعِنادِهم.

استِمرارُ أهلِ الشِّركِ في صِدامِهِم مَعَ الحَقِّ

دلالَةُ الباءِ في قَوْلِهِ: ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا﴾:

حرفُ الجرِّ الباء في ﴿بِهَا﴾ من قول الله تعالى: ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَاۖ﴾ يدلُّ على مَعْنى المُلابسَةِ والارتباط الوثيقِ بينَ الفِعْلِ ﴿يَسْتَعْجِلُ﴾ ومُتَعَلِّقه وهو السّاعة المُعبَّر عنها بالضَّمير

السُّخريةُ والعِنادُ في استِعجالِ الكُفّارِ لِلسّاعَةِ

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 27/ 590.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 69.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 17/ 283، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 69.

في ﴿بِهَا﴾، وأفاد ذلك أنَّ طلبَهُم تعجيلَها ليس دعوى عابرةً، بل هو ارتباطٌ وثيقٌ بسخريةٍ وعنادٍ.

سِرُّ التَّعْبيرِ بقَوْلِهِ: ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا﴾ دونَ (يَسْتَعْجِلُها):

بَـيـانُ شِـدَّةِ استِـهـزاءِ أهلِ الشِّركِ وعَظيمِ عِنادِهِم

قال اللهُ سُبْحانه: ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا﴾، ولم يرد في النَّظم القرآنيِّ: (يَسْتَعْجِلُها)؛ ليُفيد أنَّ الكُفّار لا يستعجلونَ السّاعة لذاتِها، بل يستعجلونَ أمرًا مرتبطًا بها، كالحسابِ أو العذابِ، وهذا يَقْتَضي شدَّة استهزائِهم وعظيمَ عنادِهم.

دلالَةُ تَقْديمِ الجارِّ والمَجْرورِ ﴿بِهَا﴾:

التَّأْكيدُ عَلى استِهتارِ الكُفّارِ بِالعَذابِ

قُدِّمَ الجارُّ والمجرور ﴿بِهَا﴾ على الفاعلِ ﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا﴾ من قول اللهِ سُبْحانه: ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا﴾؛ لإرادة الاهتِمام بالمُقدَّم؛ إذِ المُراد جَعْلُ الحسابِ والعذابِ الكائِنَيْن يومَ القيامة محطَّ الكلام وأساسَ القول؛ ليتجلّى للسّامعين أنَّ هذا الأمرَ هو مدارُ الحديثِ ومفتاحُه، وقد جاء هذا التَّقديم أيضًا؛ ليُبَيِّن استهزاءَ الكُفّار واستخفافَهُم، حتّى كأنَّهم يَرَوْنَ العذابَ - لشِدَّةِ استِبعادِهم لَهُ - أمرًا هيِّنًا يستعجلونَ نُزولَهُ بلا خوفٍ ولا وجَلٍ.

دلالَةُ التَّعْبيرِ بِالمَوْصولِ وصِلَتِهِ ﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾:

بَـيـانُ عِـلَّـةِ استِـعـجـالِ المُـشْـرِكـيـنَ لِلسّاعَةِ

جاء التَّعبيرُ بالاسم المَوصول وصِلته في قولهِ سُبحانَهُ: ﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾؛ إيماءً إلى أنَّهم مُشْتَهِرون بهذا الوصفِ - عدمِ الإيمان - إذ مِن شأنِ الصِّلة أن تكونَ مشتهرةً معلومةً لَدى المُخاطَبين، فالتَّعبير بالاسم الموصول هنا لذمِّهم والنَّعي عليهم بما في حيِّز الصِّلة.

وفي التَّعبير عن المُشْركين بوصفِ ﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ دِلالةٌ على علَّة استعجالِهم بها، وكشفٌ لحقيقة حالِهم الَّتي قادتْهُم إلى هذا الاستهزاءِ، فجحودُهم أعمى بصائرَهُم، فاستَسْهلوا أمر العذابِ وشأنَهُ ظانّين أنَّه لن يكونَ.

دلالَةُ التَّعْبيرِ بِالفِعْلِ المُضارِعِ ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾:

الكُفْرُ حالٌ راسِخَةٌ في نُفوسِهِم

عبَّر النَّظم القُرآنيُّ بالفعلِ المُضارِعِ ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ مِن قول الله ﷻ: ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا﴾؛ للدَّلالَةِ على الاستمرار[1]، والمَقصودُ استمرارُ النَّفي ودوامُه، لا نفيُ الاستمرارِ؛ إذ ليسَ المُرادُ أنَّهم يُؤمِنون بالسّاعة في بعضِ الأحايين، وإنَّما المَعنى أنَّهم دائِمون على مُجانبَةِ الإيمانِ بها مُستَمِرّون على ذلك، فالكُفرُ حالٌ ثابتَةٌ في نُفوسِهم، راسخةٌ في أذهانِهم.

دلالَةُ تَعديَةِ الفِعلِ ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ بِالباءِ:

الكُفْرُ بِالسّاعَةِ دلالَةٌ عَلى الانفِصالِ عَنِ الحَقِّ

عُدّي فعلُ الإيمان في قولِ الله ﷻ: ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا﴾ بحرف الجرِّ (الباء)؛ للدَّلالة على الارتباطِ الوَثيق والتَّصديق الكامل، ونفيُ ذلك هنا يُشير إلى انفصال الكُفّار عن الحقِّ واستمرار إنكارهم لَه، ممّا يُشير إلى الإصرارِ على الكُفر واجتهادهم في فكِّ الارتباطِ بينَهُم وبينَ الإيمان.

سِرُّ استِعجالِ ﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ وُقوعَ السّاعَةِ:

فَسادُ عُقولِ المُشرِكينَ وانحِرافُ طِباعِهِم

استِعجالُ الكُفّار حلولَ السّاعة راجعٌ إلى دَغَلٍ في عُقولِهم وانحرافٍ في طِباعِهم؛ إذ يأبَون الإذعانَ للحَقِّ، وظَنّوا أنَّ تأخيرَ العذابِ دليلُ ضعفٍ ووهنٍ، فاستعجالُهم ليسَ عن يقينٍ مِنهُم بذلكَ، بَل هو مِن بابِ التَّهكُّم والمُكابَرَة.

سِرُّ تكرار شبه الجملة (بها):

إبرازُ تَناقُضِ الكُفّارِ في أمْرِ السّاعَةِ

كُرِّر الجارُّ والمجرورُ (بها) في قولِ الله تَعالى: ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا﴾ لاختلافِ مُتَعَلَّقِه، فـ ﴿بِهَا﴾ الأولى تتعلَّق بالاستعجالِ، وهي تقتضي استهزاءَ الكُفّار وتَهَكُّمَهُم، فهُم يَطْلبونَ تَعْجيلَ ما أنكروهُ؛ ليَجعَلوا مِنهُ مادَّةً للتَّكذيبِ، وأمّا ﴿بِهَا﴾ الثّانيةُ؛

(1) البقاعي، نظم الدرر: 17/ 283.

فَمُتَعَلِّقة بالإيمانِ، وهيَ تُشير إلى إنكارهم وجُحودِهِم لِليَقين الذي لا مَهْرَب لَهُم مِنهُ ولا محيصَ.

وبِهَذا التَّكرار يتحقَّق التَّباينُ بين الفِعلَيْن - ﴿يَسْتَعْجِلُ﴾ و﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ - رُغْم اتِّحادهما في الغايةِ، وهيَ السّاعةُ، مِمّا يُبْرِزُ التَّناقُضَ في حالِهم: استِعْجالِهم لِما يُنْكِرونه، وإعْراضِهم عمّا يعلَمونَه حَقًّا.

وفي هذا التَّكرار أيضًا إيماءٌ إلى أهَمّيَّة السّاعة في هذا السّياق، وأنَّ مدارَ الحديثِ إنَّما هو عَلَيْها.

دلالَةُ الواوِ في قَوْلِهِ: ﴿وَٱلَّذِينَ﴾:

الواوُ في ﴿وَٱلَّذِينَ﴾ من قول الله ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مُشْفِقُونَ مِنْهَا﴾ عاطفَةٌ الجُمْلة بعدَها على الجُملة قبلَها، وهي قولهُ سُبْحانَه: ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَاۖ﴾؛ لِما بين الجُمْلَتَين مِنَ التَّوسُّط بينَ الكمالَيْن، لاشتراكِهما في الخَبَريَّة، ولِما بينَهُما مِنَ التَّناسُب المَعْنَويِّ، وهو التَّضادُّ، فالجملة الأولى تَذْكُر حالَ الكافرين، والثّانية تذكر مُقابِلَ ذلك، وهو حالُ المُؤمنين.

التَّقابُلُ بَيْنَ حالِ الكافِرينَ والمُؤْمِنينَ في شَأْنِ السّاعَةِ

دلالَةُ التَّعْبيرِ بِالمَوْصولِ وصِلَتِهِ في قَوْلِهِ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾:

جاء التَّعْبيرُ بالمَوصول وصِلَتِه في قولِ الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مُشْفِقُونَ مِنْهَا﴾؛ لمدْحِهم والثَّناء عليهم بما في حيِّز الصِّلة، ولإظْهار السَّبَبيَّة والعِلِّيَّة بين الإيمانِ ومَوْقِف أهلِه مِنَ السّاعة، فسبَبُ إشْفاقِهم مِنَ السّاعةِ هو إيمانُهم الرّاسِخُ ويقينُهُم الكاملُ بأنَّها حقٌّ، بِحَيْثُ أدْرَكوا عظمةَ هَذا الأمرِ وجَلالَه، بخلافِ الكُفّار الذين يَسْتَعْجِلونَ السّاعة جَهْلًا واستهزاءً.

الإيمانُ الرّاسِخُ سَبَبُ إشْفاقِ المُؤْمِنينَ مِنَ السّاعَةِ

سِرُّ تَقْديمِ مَوْقِفِ الكُفّارِ مِنَ السّاعَةِ عَلى مَوْقِفِ المُؤْمِنينَ:

قُدِّم حالُ الكُفّار مع السّاعَةِ على حالِ أهل الإيمانِ مَعَها في قولِ الله تَعالى: ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَاۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مُشْفِقُونَ

التَّأكيدُ عَلى عَظَمَةِ السّاعَةِ وخَطَرُ التَّهَكُّمِ بِها

مِنْهَا﴾؛ لإبرازِ استِهزاءِ الكُفّار أوَّلًا وبيانِ جَهْلِهِم؛ ليكونَ ذلك مَدْخَلًا للتَّبايُن معَ موقفِ أهلِ الإيمانِ وإشْفاقِهِم مِنَ السّاعة، فيَتَرَقّى النَّصُّ مِن ذِكْرِ الجَهْلِ إلى ذِكْرِ اليَقين؛ تَأْكيدًا لعَظَمَةِ السّاعة وخُطورَة الاستِهْزاءِ بها.

دلالَةُ التَّعْبيرِ بِالفِعْلِ الماضي ﴿ءَامَنُواْ﴾:

رُسوخُ الإيمانِ وأثَرُهُ في الإيقانِ بِالسّاعَةِ

جاء التَّعْبيرُ بالفِعْلِ الماضي ﴿ءَامَنُواْ﴾ من قولِ اللّه تَعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مُشْفِقُونَ مِنْهَا﴾؛ للتَّنبيهِ عَلى استِقْرار الإيمانِ وثُبوتِه في قُلوبِه، فَهو لَيْسَ إيمانًا عارِضًا، بَل هو حقيقَةٌ قَد تَحَقَّقت، ورسَخَت في نُفوسِهم، وبِهذا الإيمانِ صاروا يوقِنونَ بالسّاعة، ويُشْفِقون مِنها.

دلالَةُ حَذْفِ مُتَعَلِّقِ الإيمانِ:

أفرادُ الإيمانِ مَعْلومةٌ لَدى المُؤْمِنينَ، وهُم مُصدِّقونَ بِها جَميعًا

حُذِفَ مُتَعَلِّقُ الإيمانِ في قولِ اللّهِ تَعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مُشْفِقُونَ مِنْهَا﴾، فلم يُذْكَر بِماذا آمَنوا؛ لِلعِلْمِ بِهِ، فَإنَّ متعلِّق الإيمانِ كان معروفًا عِندَ المُخاطَبينَ[1]، أو أنَّهُ حُذِفَ لقصدِ إفادة العمومِ، أي: آمَنوا بجميعِ ما يَجِبُ الإيمانُ بِهِ.

ولا تنافيَ بينَ الدَّلالتَيْن؛ لأنَّ الإيمانَ المَعْهودَ عندَ المُخاطَبين هو الإيمانُ بِجَميعِ ما يَجِبُ الإيمانُ بِهِ.

بَلاغَةُ الاحتِباكِ في الآيَةِ:

استِثارَةُ ذِهنِ المُتَلَقّي لاستِخراجِ المَعاني الخَفيَّةِ

في قولِ اللّه تعالى: ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَاۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مُشْفِقُونَ مِنْهَا﴾ احتباكٌ، وهو المُسَمّى بالحذفِ المُقابَليِّ أو بحذفِ التَّقابل، ووجهُ ذلكَ أنَّ اللّهَ تعالى ذَكَرَ استِعجالَ الكُفّار أوَّلًا؛ ليَكونَ دَليلًا عَلى حَذْفِ مُقابِلِه، وهو عدَمُ استِعْجال أهلِ الإيمانِ بِها، وذَكَرَ إشْفاق المُؤْمنينَ منها؛ ليكونَ دليلًا عَلى حَذْفِ مُقابِلِه، وهو عدمُ إشفاقِ الكُفّار منها، وتقديرُ الكلامِ: يَستَعْجِلُ بِها الذي

(1) رضا، تفسير المنار: 1/ 192.

لا يُؤْمِنونَ بِها، فلا يُشْفِقونَ منها، والذين آمنوا مُشفِقونَ مِنها، فَلا يَستَعجِلون بها[1].

وَهذا الحذفُ يَسْتَثيرُ عقلَ القارئ لاستِخراج المَعْنى، فَيغوصُ في أعماقِ النَّصِّ القرآنيِّ، فَتَستقرُّ المَعاني في نَفْسِهِ، وتُحْدِثُ فيها أثرًا بالغًا.

سِرُّ التَّعْبيرِ بِالإشْفاقِ دونَ الخَوْفِ:

دِقَّـةُ الـبَـيـانِ القُرآنيِّ في انتِقاءِ الألفاظِ

جاء النَّظم القُرآنيُّ معبِّرًا بلفظ الإشفاقِ في قول الله تَعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مُشْفِقُونَ مِنْهَا﴾ دون الخَوْفِ؛ لِما في الإشفاقِ مِن وفْرَة المَعْنى وكَثافَة الدَّلالَة؛ إذِ الإشفاقُ هو الخَوْفُ العَظيم[2]، الَّذي يُتوقَّع معَهُ الثَّوابُ[3]، فيكونُ في الإشفاقِ جمعٌ بين الخوفِ والرَّجاء، ومَعْنى الخوفِ أظهَرُ فيهِ؛ لتَعْديَتِه بحَرْفِ الجرِّ (مِنْ)[4]، والجمعُ بينَ الخوفِ والرَّجاء هو الحالُ الذي يَنْبَغي أن يكونَ عليهِ أهلُ الإيمانِ.

دلالَةُ التَّعْبيرِ بِالاسْمِ ﴿مُشْفِقُونَ﴾ دونَ الفِعْلِ (يُشْفِقونَ):

الإشْـفـاقُ مِـنَ السّاعَـةِ صِفَةٌ راسِـخَـةٌ في نُـفـوسِ أهـلِ الإيمانِ

عُبِّر عن الإشفاقِ بالاسم: ﴿مُشْفِقُونَ﴾ من قول الله ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مُشْفِقُونَ مِنْهَا﴾ دون الفِعْلِ؛ للدَّلالة على الدَّوام والاستمرار؛ ليُفيدَ ذلكَ ثباتَ صفةِ الإشفاقِ مِنَ السّاعةِ ورسوخَها في نفوسِ المُؤْمنينَ.

دلالَةُ ارتباطِ الإشفاقِ بِالسّاعَةِ:

حِـرْصُ أهـلِ الإيـمـانِ مُـدَّةَ حَـيـاتِـهـم عَـلى الاسـتِـكـثـارِ مِـنَ الأعـمـالِ الصّالِحَةِ

جَعل اللّهُ تَعالى الإشفاقَ مِن ذاتِ السّاعة؛ لبيانِ عِظَم أهوالِها، حتّى كأنَّما أحوالُها المُرَوِّعة هي عينُ وُجودِها، على نَحْو ما يُسنَد الحكمُ أو أثَرُه إلى الأعيانِ نَفْسِها، فالمُؤْمنون - وهُم يَخشَونَ هولَ ذلك اليوم - يَجْعَلونَ مِن طاعَتِهم وتَقوى اللّهِ سُبحانَهُ وسيلَةً لِلنَّجاة

(1) البقاعي، نظم الدرر: 17/ 283، والقِنَّوجي، فتح البيان: 12/ 291.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 17/ 283.
(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 8/ 28.
(4) حقي، روح البيان: 8/ 302، والآلوسي، روح المعاني: 13/ 27، وطنطاوي، التفسير الوسيط: 13/ 26 - 27.

مِن أهوالِه، ولذا لا يَستَعجِلون قدومَ السّاعة، بَل يَحرِصون مُدَّة بَقائِهم في الدُّنيا على العمَلِ الصّالح[1].

دلالَةُ حَرْفِ الجَرِّ (مِنْ) في ﴿مِنْهَا﴾:

خَـوْفُ أهـلِ الإيـمـانِ مِـنَ السّاعَةِ مَقْرونٌ بِـعِـنـايَـتِـهِـم واهتِمامِهِم بِها

حرفُ الجرِّ (مِنْ) في ﴿مِنْهَا﴾ مِن قول الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مُشْفِقُونَ مِنْهَا﴾ يدلُّ على ظُهور معنى الخوفِ والرَّهبة مع قرينة التعبير بـ ﴿مُشْفِقُونَ﴾ أيضًا، فالمُؤمِنون يُظهِرون خوفَهم الشَّديد مِن هَوْلِ السّاعة مع العِنايَة والاهتمام بها، إلّا أنَّ الخَوْفَ أظهَرُ؛ لأنَّ (مِنْ) تُبرِزُ التَّحرُّز ممّا يُخْشى مِنْهُ... فالتعدية بحرف (مِنْ) أظهر لمعنى الخوف، وفي التعدية بحرف (في) يكون معنى العناية أظهر[2].

دلالَةُ العَطْفِ في ﴿وَيَعْلَمُونَ﴾:

إشـفـاقُ أهْـلِ الإيـمـانِ مِـنَ السّاعَةِ إشْفاقٌ عَن يَقينٍ راسِخٍ بِها

عُطِفَت جُملة: ﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ﴾ من قول الله سُبْحانَه: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ﴾ على ﴿مُشْفِقُونَ مِنْهَا﴾؛ للإيماءِ إلى أنَّ إشفاقَ المُؤمنين مِن السّاعة إشفاقٌ عن يقينٍ راسخٍ وجزْمٍ تامٍّ، لا عَن شُكوكٍ أو تَخْميناتٍ، فَهُم لا يَخْشَونَها بناءً على تَرَدُّد وخشيةٍ أن يَكْشِف الواقعُ عَن صِدْق الخبَر بها، بل إنَّهم عَلى علم ويقينٍ بأنَّ السّاعة حقٌّ لا شَكَّ فيه[3].

سِرُّ التَّعْبيرِ بِالعِلْمِ دونَ المَعْرِفَةِ:

في الـتَّـعْـبـيرِ بِـالـعِـلْـمِ تَأْكيدٌ لِحَقيقَةِ الإيمانِ

عُبِّر بالعِلْم دونَ المَعْرِفة في قولِ الله ﷻ: ﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ﴾؛ للدَّلالة على يقينِ أهلِ الإيمان وجَزْمِهم[4] بأنَّ السّاعة حقٌّ لا ريبَ فيها، بخلافِ ما لو جاءَ التَّعبير بالمَعْرِفَة؛ فإنَّ المَعْنى يتَّسِع؛ ليَشْمَلَ الظَّنَّ واليقينَ معًا، واحتمالُ الظَّنِّ في العِبارة يُضْعِفُ مَدْحَهُم والتَّنويه بشأنِهم.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 70.
(2) طنطاوي، التفسير الوسيط: 13/ 27.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 70.
(4) الهرري، تفسير حدائق الروح والريحان: 26/ 71.

دلالَةُ التَّعْبيرِ بِالفِعْلِ المُضارِعِ (يَعْلَمونَ):

دَوامُ يَقينِ المؤْمِنينَ بِالسّاعَةِ

عُبِّر بالفعلِ المُضارِع (يَعْلَمونَ) من قولِ اللّه تَعالى: ﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ﴾؛ للدَّلالَة عَلى استِمْرارِ عِلْمِ المُؤْمنينَ ويَقينِهم بأنَّ السّاعة حَقٌّ، فليسَ هو بعِلْمٍ عارِضٍ، بل هو يقينٌ ثابتٌ ملازِمٌ لَهُم في حاضِرِهم، لا يَنْفَكُّ عَن قُلوبِهم، ولا يَغيبُ عَن وعْيِهم، وذلكَ ممّا يَجْعَلُ السّاعة كأنَّها شاخصةٌ أمامَ أعيُنِهم، لا يَنسَونَها، ولا يغفُلون عَنْها.

دلالَةُ التَّأْكيدِ في قَوْلِهِ: ﴿أَنَّهَا﴾:

أُكِّد قوله تعالى: ﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ﴾ بـ (أنَّ)؛ إبرازًا ليَقين أهلِ الإيمانِ وجَزْمِهم بِكَوْنِ السّاعَةِ أمرًا ثابتًا حقًّا لا شَكَّ فيهِ، وفي ذلك مدْحٌ لَهُم على رسوخِ إيمانِهم[1].

سِرُّ التَّعْبيرِ بِلَفْظِ ﴿ٱلْحَقُّ﴾:

إثْباتُ يَقينيَّةِ السّاعَةِ

عُبِّر عن السّاعة بلَفْظِ ﴿ٱلْحَقُّ﴾ في قول اللّه تعالى: ﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ﴾ دون غيرِه مِنَ الألفاظِ المُقارِبَة لدِلالَتِه على اليقينِ الثّابتِ الَّذي لا شَكَّ فيه ولا احتمالَ لِزَوالِه، ممّا يَجْعَلُه أبلغَ في إثباتِ حقيقة السّاعَة وأقوى في بيانِ إيمانِهم المُتَجَذِّر الرّاسِخ بِها.

سِرُّ التَّعْبيرِ بِـ ﴿ٱلْحَقُّ﴾ مُعَرَّفًا:

ظُهورُ أدِلَّةِ السّاعَةِ ظُهورًا كامِلًا لا خَفاءَ مَعَهُ

عُرِّف لفظُ ﴿ٱلْحَقُّ﴾ في قولِ اللّه ﷻ: ﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ﴾ تَعريفَ الجنسِ؛ لإفادَةِ قَصْرِ المُسْنَد على المُسْنَد إليه قَصْرًا إضافيًّا؛ مُبالغةً لكمالِ الجِنْسِ في المُسْنَد إليهِ، والمَعْنى: أنَّهُم يوقِنون بأنَّ السّاعة هي الحقُّ كلُّ الحقِّ، الثّابتَةُ ثباتًا كاملًا لا انقضاءَ لَهُ ولا زوالَ، وذلك لظُهورِ أدلَّةِ وُقوعِها حتّى كأن لا حقَّ غَيْرُها[2].

دلالَةُ التَّعْبيرِ بِالجُمْلَةِ الاسميَّةِ المؤكّدة ﴿أَنَّهَا ٱلْحَقُّ﴾:

جاءَ التَّعبير بالجُمْلة الاسميَّة المؤكّدة ﴿أَنَّهَا ٱلْحَقُّ﴾؛ لإفادَةِ

(1) طنطاوي، التفسير الوسيط: 13/ 27.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 17/ 284، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 70.

الثُّبوت والاستمرارِ؛ إذ إنَّ ذلكَ يُشير إلى أنَّ السّاعَةَ حقيقَةٌ ثابتَةٌ راسخَةٌ لا يَدْخُلُها شكٌّ بوجهٍ مِنَ الوُجوه.

سِرُّ تَقْديمِ الإشفاقِ عَلى العِلْمِ في الآيَةِ:

الإشفاقُ ثَمَرَةُ اليَقينِ

قُدِّم الإشفاقُ على العلم في قول الله سُبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ﴾؛ للتَّنبيهِ عَلى أنَّ الخوفَ والخَشية مِن أهوالِ السّاعة هي أوْلى أحوالِ العُقلاء، مِمّا يَجْعَلُ الإشْفاق دافعًا للإيمانِ والبُعْد عَن الغَفْلة، ثُمَّ جاء العِلْمُ بَعْدُ؛ تأكيدًا بأنَّ الإشفاقَ ليسَ ناشِئًا عن جهلٍ، بل هو إشفاقٌ مَبْنيٌّ على بصيرة ويقينٍ راسخٍ بأنَّ السّاعةَ حَقٌّ[1].

دلالَةُ التَّعْبيرِ بِقَوْلِهِ: ﴿أَلَآ﴾:

شَدُّ انتباهِ السّامِعينَ إلى أهَمّيَّةِ ما يُقالُ

صُدِّرت الجملَةُ: ﴿أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِى ٱلسَّاعَةِ لَفِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ﴾ بِحَرْفِ الاستفتاحِ ﴿أَلَآ﴾؛ لإرادَةِ التَّأكيدِ والتَّنبيه لقَصْدِ العِنايَةِ بالكَلام، وشَدِّ انتباهِ السّامِعين وتَوْجيههِم إلى أهمّيَّة ما سَيُقالُ[2].

بَلاغَةُ التَّذْييلِ في الآيَةِ:

بَيانُ ضَلالِ المُكَذِّبينَ بالسّاعَةِ وهِدايَةِ الموقِنينَ بِها

قولُ الله تَعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِى ٱلسَّاعَةِ لَفِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ﴾ تذييلٌ لِما تَقَدَّمها، ظاهِرُه الصَّريح إثباتُ ضلالِ المُكَذِّبين بالسّاعَة، وكِنايَتُه إيماءٌ إلى هدايَةِ المُؤْمنين الموقِنين بِها، فجاءت هذهِ الآيَةُ جامِعةً مُظْهِرَةً الفَرْقَ بينَ الفَريقَيْن[3].

دلالَةُ التَّأْكيدِ بِـ ﴿إِنَّ﴾:

مآلُ المُمارينَ في السّاعَةِ إلى الضَّلالِ المُبينِ

أُكِّد قولُ اللهِ تَعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِى ٱلسَّاعَةِ لَفِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ﴾ بـ﴿إِنَّ﴾؛ لإبرازِ قوَّة الحُجَّة وثُبوت الحُكْم؛ تأكيدًا بأنَّ الضَّلال المُبين هو المَصيرُ المُحَقَّق للمُمارينَ في شأنِ السّاعةِ.

(1) البقاعي، نظم الدرر: 17/ 283.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 71، والهرري، تفسير حدائق الروح والريحان: 26/ 71.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 70.

دلالَةُ التَّعْبيرِ بِالمَوْصولِ وصِلَتِهِ ﴿ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ﴾:

الإشـــارَةُ إلى عِلَّةِ انحرافِهِم وسَبَبِ ضَلالِهِم

جاء التَّعْبيرُ عَنِ المُشْركينَ بالمَوْصولِ وصلَتِهِ: ﴿ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ﴾ في قولِ اللهِ سُبْحانَه: ﴿أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِي ٱلسَّاعَةِ لَفِي ضَلَٰلٍ بَعِيدٍ﴾؛ للإشارة إلى أنَّ هؤلاء المُشْركين مَشْهورونَ بالمُماراةِ في شأنِ السّاعة مَعْروفون بِهَذا الفِعْلِ الذَّميم، وذِكْرُهُم بِهَذِهِ الصِّفَةِ دونَ سِواها يدُلُّ على أنَّها أظْهَرُ خِصالِهِم وأقبَحُها.

وفي التَّعبير بالمَوْصولِ وصِلَتِهِ أيضًا إيماءٌ إلى سبَبِ انحِرافِهم وعلَّة ضلالِهم.

سِرُّ التَّعْبيرِ بـ ﴿يُمَارُونَ﴾ دونَ (يُجادِلونَ):

مُبالَغَةُ المُشْرِكينَ في التَّشْكيكِ بِأمْرِ السّاعَةِ

جاء التَّعبير بالمُماراةِ في قولِ اللهِ سُبْحانَه: ﴿أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِي ٱلسَّاعَةِ لَفِي ضَلَٰلٍ بَعِيدٍ﴾ دون المُجادلَة؛ لِما تدُلُّ عليه المُماراة منَ التَّشكيك واللَّجاجةِ الشَّديدة[1]، فهُم يُبالِغون في الخُصومة، ويَشْتَدّون في اللَّجَج، وهذه المَعاني لا تُعْطيها لفظَةُ الجِدال.

سِرُّ التَّعْبيرِ بِالفِعْلِ المُضارِعِ ﴿يُمَارُونَ﴾:

بَيانُ عِنادِهِمُ المُتَجَذِّرِ فيهِم

عُبِّر عن المُماراةِ بالفِعْلِ المُضارع ﴿يُمَارُونَ﴾ في قول اللهِ تَعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِي ٱلسَّاعَةِ لَفِي ضَلَٰلٍ بَعِيدٍ﴾؛ للدَّلالة على استِمْرارِ حالِهِم في المُماراة ودَوامِهِم عَلَيْها، وذلك يُبْرِزُ عِنادَهُم المُتَأصِّل فيهِم وتَشَبُّثِهِم بالباطِلِ، وكذلك فإنَّ التَّعبير بالفعل المضارع يفيد أيضًا استحضار صورتهم، وهم يمارون في شأن السّاعة.

سِرُّ الإظْهارِ في مَوْضِعِ الإضْمارِ:

تَعْظيمُ شَأنِ السّاعَةِ وتَهْويلُ أمْرِها

في قول اللهِ سُبحانه: ﴿أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِي ٱلسَّاعَةِ لَفِي ضَلَٰلٍ بَعِيدٍ﴾ إظهارٌ في مَوْضِعِ الإضمارِ، وذلك لأنَّ مُقْتَضى الظّاهر أن يَرِدَ في النَّظم القرآنيِّ: (ألا إنَّ الذين يُمارون فيها)؛ لتَقَدُّم التَّصريح

(1) البقاعي، نظم الدرر: 17/ 284.

بالسّاعَةِ قبلُ في قولِه: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾، وأُضمِرَت بعدُ في مواضِعها الأربعَة: ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَاۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّۗ﴾، وأُظْهِرَت في قَوْلِه: ﴿يُمَارُونَ فِي ٱلسَّاعَةِ﴾؛ تعظيمًا لأمْرِها وتهويلًا لشَأْنِها، كما أنَّ في الإظهارِ إيقاظًا للقُلوب وتَنْبيهًا للعُقول.

دلالَةُ اللّامِ في ﴿لَفِي﴾:

لُـزومُ الضَّـلالِ لِـلـمُـكَـذِّبـينَ وتَحَقُّقُهُ فيهِم

اللّامُ في ﴿لَفِي﴾ من قولِ اللّه ﷻ: ﴿أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِي ٱلسَّاعَةِ لَفِي ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ﴾ هي اللّام المُزحلقة[1]، وهي مؤكِّدة للجملة، وذلك يَقْتضي أنَّ الضَّلال الذي وُصِف به المُكذِّبون أمْرٌ لازم لَهُم متحقِّق فيهم.

بَلاغَةُ التَّعْبيرِ بِـ﴿لَفِي ضَلَٰلٍ﴾:

إحاطَةُ الضَّلالِ بِالمُشْرِكينَ مِن كُلِّ جانِبٍ

حرفُ الجرِّ (في) من قولِ اللّه سُبْحانَه: ﴿أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِي ٱلسَّاعَةِ لَفِي ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ﴾ دالٌّ على الظَّرْفيَّة، وهي هنا ظرفيَّة مجازيَّة؛ إذ شُبِّه الضَّلال بالظَّرف لهم، وذلك لتمام تلبُّسِهم به وانْغماسهم فيه، كوقوع المَظْروف في ظرفه[2]، فكان الأسلوبُ مُصَوِّرًا حالَهم بأنَّهم غارقون في الضَّلال غَوْصًا كاملًا، بحيثُ أحاطَ بِهِم الضَّلال مِن كُلِّ جانِبٍ، وهَذا يُبْرِزُ بُعْدَهُم عنِ الحقِّ، وانحِرافَهُم عَن جادَّة الصَّواب.

سِرُّ اختيارِ التَّعبيرِ بِوَصفِ الضَّلالِ:

شِـدَّةُ انـحـرافِ المُـكَـذِّبـينَ بِالسّاعَةِ

اختير وصفُ الضَّلالِ في قولِ اللّه تَعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِي ٱلسَّاعَةِ لَفِي ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ﴾؛ لِما يَدُلُّ عليهِ اللَّفْظُ مِن شِدَّةِ الانحِراف والبُعد عن سواءِ الصِّراط، وذلك هو أنسَبُ لِما اتَّصف به المُكذِّبون مِن مُماراتِهِم في أمرِ السّاعة.

(1) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 9/ 25.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 71.

دلالَةُ التَّنْكيرِ في ﴿ضَلَٰلٍ﴾ و﴿بَعِيدٍ﴾:

نُكِّر لفظُ ﴿ضَلَٰلٍ﴾ و﴿بَعِيدٍ﴾ من قول الله ﷻ: ﴿أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِي ٱلسَّاعَةِ لَفِي ضَلَٰلٍ بَعِيدٍ﴾؛ للدَّلالةِ على التَّعْظيم والتَّهْويل؛ وذلك يقتضي أنَّ ضلالَهُم ليسَ عارضًا بل هو ضلالٌ مَهولٌ عظيمُ الشَّأن، وأنَّ بُعدهم عن الصَّواب بُعدٌ شديد جدًّا، لا يُرجى معهُ هُدًى[1].

بُـعْـدُ المُشْـرِكـيـنَ عَـنِ الحَـقِّ بُـعْـدًا لا تُـرْجـى مَـعَـهُ هِدايَتُهُم

سِرُّ وصْفِ الضَّلالِ بِالبُعْدِ:

وُصِفَ الضَّلال بالبُعْدِ في قول الله سُبْحانَه: ﴿أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِي ٱلسَّاعَةِ لَفِي ضَلَٰلٍ بَعِيدٍ﴾؛ لأنَّ السّاعة وما فيها مِنَ البَعْثِ أشبَهُ المُغَيَّباتِ بالمَحسوساتِ؛ إذ إنَّه يُشْبِهُ إحياءَ الأرضِ بعدَ مَوْتِها، فَمَن لَم يهتَدِ إلى إمكانِهِ وتجويزِهِ؛ فَهو مِنَ الاهتداءِ إلى ما وراءَ ذلكَ أبعدُ[2].

انحِطاطُ فُهومِ المُشْرِكينَ عَنْ إدْراكِ الأدِلَّةِ الظّاهِرَةِ

بَلاغَةُ المَجازِ في قَوْلِهِ: ﴿ضَلَٰلٍ بَعِيدٍ﴾:

وُصِفَ الضَّلال بالبُعد في قول الله سُبحانه: ﴿أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِي ٱلسَّاعَةِ لَفِي ضَلَٰلٍ بَعِيدٍ﴾ من باب المَجاز العقليِّ؛ إذِ البُعدُ في الحقيقة للضّالِّ؛ لكونِه المُتباعدَ عن السَّبيل[3]، فوُصِفَ فِعْلُه بالبُعدِ؛ مبالغةً في بيان شدَّة انحرافِه، وهذا الوصفُ يُصَوِّر عِظَم ضَلالِهِم بحيثُ يَعْسُر معَهُ رُجوعُهُم إلى الهُدى[4].

المُبالَغَةُ في بَيانِ شِـدَّةِ انـحِـرافِ المُشْرِكينَ

❁ الفُروقُ المُعجَميَّةُ:

الإشْفاقُ والخَوْفُ:

الخَوْفُ: انفعالٌ يَحْصُل بِتَوَقُّع ما فيه هلاكٌ أو ضررٌ أو أذًى[5]، والإشفاقُ هو الخَوْفُ العَظيم[6] الذي يُتوقَّع معَهُ الثَّوابُ[7]، فيكونُ في

الإشفاقُ أخَصُّ مِنَ الخَوْفِ

(1) البقاعي، نظم الدرر: 17/ 285.
(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 8/ 28، وحقي، روح البيان: 8/ 303.
(3) حقي، روح البيان: 8/ 303، والهرري، تفسير حدائق الروح والريحان: 26/ 72.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 71.
(5) ابن عثيمين، شرح ثلاثة الأصول وأدلتها، ص: 56.
(6) البقاعي، نظم الدرر: 17/ 283.
(7) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 8/ 28.

الإشفاقِ جمعٌ بين الخوفِ والرَّجاء، ولذا يردُ الإشفاقُ أيضًا دالًّا على خوفٍ مَقْرونٍ بالمَحَبَّة والرَّحْمَة.

المِرْيَةُ والشَّكُّ والرَّيْبُ:

المِـرْيَـةُ شُـكـوكٌ مُتَجَدِّدَةٌ

الشَّكُّ: وقوفُ النَّفس بين شَيئَينِ مُتَقابِلَين من دون أمارَةٍ مُرَجِّحةٍ بينَهُما، والرَّيبُ: أن يُتَوَهَّم في الشَّيء أمرٌ ما، ثُمَّ يَنْكَشِفَ عمّا توُهِّم فيه[1]، والامتراء: استِخراجُ الشُّبَه المُشْكِلَةِ لإدخال الشَّكِّ على المُجادل، ثُمَّ سُمّي الشَّكُّ مريةً[2].

فالمِرْيَة شُكوكٌ مُتَجَدِّدة، وهي أشَدُّ مِن مُطْلَق التَّردُّد بين أمرينِ.

(1) الرّاغب، تفسير الرّاغب: 1/ 115.

(2) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 99، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 71.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثالث والخمسون،
سورة الشُّورى من الآية 13 إلى سورة الزُّخرُف الآية 36
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثالث والخمسون، سورة الشُّورى من الآية 13 إلى سورة الزُّخرُف الآية 36
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 53 ، 806 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-644-66-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 53 : المجلد الثالث والخمسون، سورة الشُّورى من الآية 13 إلى سورة الزُّخرُف الآية 36.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-644-66-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4811073 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"